The Text of *Ziyārat al-Nāḥiyah al-Muqaddasah*: A Stylistic Study

Researcher: Fatimah Rahmah Tahir
University of Basrah / College of Education for Women
E-mail: pgs.fatima.rahma@uobasrah.edu.iq

Professor. Dr. Saad Waheed Issa Al-Fartousi
University of Basrah / College of Education for Women
E-mail: Saad.wIssa@uobasrah.edu.iq

Abstract:

This study adopts *Ziyārat al-Nāḥiyah al-Muqaddasah* as an analytical stylistic investigation. It aims to deconstruct the text and analyze its distinctive stylistic phenomena by examining all of its linguistic and stylistic levels: phonological, morphological, syntactic, and semantic, drawing on the mechanisms of the analytical stylistic approach to identify the linguistic and aesthetic features of the text.

The study seeks to answer a fundamental question: what is the significance behind the selection of these prominent features in the text, and how have they affected the recipient? The importance of this study lies in shedding light on enduring religious and literary discourses, with the intellectual and cognitive implications they carry and that merit reflection and analysis, foremost among them the texts of supplications and visitation formulas associated with the rightly guiding Imams (peace be upon them). It also arises from a desire to connect contemporary stylistic approaches with the Husseini cause, as a universal human and religious cause that remains ever present and is not confined to one group or a particular sect.

Keywords: stylistics, *Ziyārat al-Nāḥiyah al-Muqaddasah*, signification, structure of meaning.

نَصّ ((زِيَارَةِ النَّاحِيَةِ المُقَدَّسَةِ)) دِرَاسَةٌ أَسْلُوبِيّةٌ[*]

الباحثة: فاطمة رحمة طاهر **الاستاذ الدكتور سَعد وَحيد عِيسى الفَرطُوسي**

جامعة البصرة / كلية التربية للبنات

E-mail: pgs.fatima.rahma@uobasrah.edu.iq E-mail: Saad.wIssa@uobasrah.edu.iq

الملخص:

يتبنى هذا البحث ((**زيارة النّاحية المقدّسة**)) كدراسة أسلوبية تحليلية ،وهو بحث يهدف إلى تفكيك النص وتحليل ظواهره الأسلوبية المتميزة، عبر الوقوف على مستوياته اللغوية والأسلوبية جميعها: (الصّوتية والصّرفية والتركيبية والدلالية)، استنادًا إلى آليات المنهج الأسلوبي التحليلي لرصد الظواهر اللغوية والجمالية في النّص. وذلك للإجابة عن سؤال جوهري وهو: ما المغزى وراء اختيار هذه الظواهر البارزة في النص؛ وكيف أثرت في المتلقي؟، وتكمن أهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على الخطابات الدينية والأدبية العريقة، بما تحمله من مضامين معرفية وفكرية تستحق التأمل والتحليل، وفي مقدمتها نصوص الأدعية والزيارات الخاصة بالأئمة الهداة (عليهم السلام).وتنشأ من الرغبة في ربط المناهج الأسلوبية المعاصرة بالقضية الحسينية، بوصفها قضية إنسانية ودينية عامة دائمة الحضور ولا تقتصر على فئة من دون أُخرى أو مذهب بعينه .

الكلمات المفتاحية : الأسلوبيّة ، زيارة النّاحية المقدّسة، الدلالة ، بنية المعنى.

[*] بحث مستل من رسالة الماجستير الموسومة : **زيارةُ الناحيةِ المقدسةِ (دراسةٌ أسلوبيةٌ)**.

المُقدّمة:

بِسمِ اللهِ ، وباللهِ ، وعلى مِلّةِ رسول الله ، والحمدُ لله الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، وأنار بصيرته بنورِ العلمِ والفهم، وبَعث إليه خير خلقه سراجاً لِيُسْتَضاء به، ومنقذاً لينتشله من غياهب الجهل والضلالة، أبا الزهراء محمد (صلّى الله عليه وآلهِ الطيبين الطاهرين المنتجبين). أُختيرَت هذه الزيارة لأسبابٍ عدة، يجمعها سبب جوهري واحد ورد في قول الإمام علي (عليه السلام) :((إنّا لأُمراء الكلام، وفينا تنشبت عروقه ، وعلينا تهدلت أغصانه))[١]. ونظراً لما تحتويه نصوص الأدعية والزيارات للأئمة (عليهم السلام) من مضامين معرفيّة عظيمة تستحق التأمل فيها، ولما تحمله من كنوز علمية وفكرية وثقافية هائلة ،فضلاً عن الحقائق التاريخية المؤكدة. مما يجعلها من أعظم مصادر الهداية والمعرفة بعد كتاب الله تعالى، والحديث الشريف، وإنّ مرويات أهل البيت (عليهم السلام) تعدّ ذخائرَ من الحكمة، وخطابًا شافيًّا حاسمًا في كلّ الأمور؛ لأنّها صادرة من قلوب نقيّة ، وتقيّة خاشعة لله ،لا تنطق عن الهوى ،وإنّما هي وحيٌ يُوحى. وكما قال الإمام الحسين(عليه السلام) : ((إنّا أهلُ بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله والحقّ فينا ،وبالحقّ تنطق ألسنتنا))[٢].

• القيمة العلميّة والنّصية لـ((زيارةِ الناحية المقدّسة)) :

تُعَدُّ **((زيارة الناحية المقدّسة))** من الزياراتِ المعروفةِ بين الشيعةِ الإماميّةِ عامة ، وتنسب إلى الإمام الثاني عشر، وهو الإمام محمد بن الحسن المهدي(عجل الله تعالى فرجه)، وَتُدرج هذه الزيارة ضمن ما يعرف بـ (الزيارات الموقعة) من الإمام المهدي (عج) ، كما هو الحال مع (زيارة آل ياسين) و(الزيارة الرجبية) الموجهة إلى أحد النواب الأربعة من دون تحديد اسمه، وهي من الزيارات المطلقة التي يمكن قراءتها يوم عاشوراء أو في غيرها من الأيام[٣].وتنتمي **((زيارة الناحية المقدّسة))** إلى النصوص الدينية ذات الطابع الأدبي الإيماني إذ تجمع بين جمال الأسلوب والرسالة الروحية التي تهدف إلى هداية وتأمل الزائر .وتُدرَج ضمن ما يعرف بنصوص الزيارات. ويغلب عليها أيضا الطابع التوجيهي والتكليفي، فهي تهدف إلى تثقيف الزائر وتوجيهه فكريًّا وروحيًّا ، تمامًا كما هو الحال في سائر الزيارات المعروفة. وتظهر النزعة التوجيهية في نص الزيارة من افتتاحها بصيغة مضارعة مثل: (تقول) ، وهذه الصيغة يراد بها إرشاد الزائر وحثّه على التأمل في المعاني.[٤] وتعد الزيارة بمثابة مقتل حسيني متكامل، تتضمن مزيجاً من المعرفة والحسرة ، والألم ، والانكسار ، والتوسل، وهوما يجعلها تلامس قلب المتلقي، وتجعله في حالة انكسار عاطفي وحرقة، وأمام مسؤولية كبرى ؛لأنها تنقل واقعة الطف بدقة كبيرة مسترسلة.[٥] وتتفرد في ترتيبها المميز؛ إذ تبدأ بالسلام على ثلاثة وعشرين نبيًّا، ثم تنتقل إلى السّلام على أصحاب الكساء(عليهم السلام)، و تخص منهم الإمام

الحسين (عليه السلام) وأنصاره بالتحيّة والسّلام، مستعرضة صفاته، وتحركاته ومواقفه، ومصيبته، وصبره الذي أدهش ملائكة السماوات.[٦]

أسلوبيّة البُنيّة الصوتيّة :

يعد الصوت الركيزة الأساسية للإيقاع النّصي، لما يمتلكه من سمات تنغيميّة مرتبطة بطرق نطقه ومواضعه. وأهميته لا تقتصر على هذه السّمة فقط، إنما تتحدد قيمته أيضاً عبر قدرته على التّمَيّز والتّفرد في بنية الأصوات، ونغمته الخاصة هي التي تقوم بإضفاء هذا التمييز عليه.[٧] واللغة في جوهرها ليست سوى أصوات أو مقاطع صوتية، إذ يعد الصوت المادة الأولية لإنتاج الكلام[٨] فـ((المادة الأولية للغة تتمثل في الصوت المنطوق الذي يحمل معنًى من خلال وضعه في شكل تتابعي محدد معيّن مكوّنةً كلماتٍ ،أو مجموعة كلمات)) .[٩]

يعد مصطلح"**الأسلوبية الصوتية**" ترجمة للمصطلح الإنجليزي(phonostylistices)والفرنسي (phonostylistique) وهو فرع من فروع الأسلوبية، ويختص بالجانب الصوتي بنوعيه (phonetics&phonology)[١٠].وتركز الأسلوبية الصوتية على تحليل الخصائص الصوتية بوصفها أدوات إيحائية تعكس مشاعر الكاتب وأفكاره، وللوقوف على مواطن الإبداع للمبدع فلا بد من الوقوف على البنى الصوتيّة التي تمثل انحرافات أسلوبيّة تعطي النّص سمة تعبيرية خاصة، إذ يتآزر المستوى الصوتي مع المستويات الأخرى لسبك اللغة الإبداعية للنص[١١].

وترصد أسلوبيّة الصوت بإجراءاتها الإحصائية ودلالاتها براعة المنشئ في استغلال ملكته اللغوية فنيًّا . فهو بمثابة منسق صوتي ينسق أصوات النص ليخرجه بأحسن صورة ، مستفيدًا من الإيحاءات الصوتية للفونيمات المتكررة التي تعزز الدلالة الفنية؛ وبوجه عام يسعى التحليل الأسلوبي الى كشف إبداع الصوت في تشكيل دلالة مؤثرة للنص.[١٢]ويسعى تحليلنا الصوتي الى الكشف عن كيفية تشكيل الصوت ودلالاته، مما يعد خصيصة أسلوبيّة. ولا يصح أن نختزل قيمة الأصوات على أنها فونيمات صغيرة محضة. بل بوصفها تراكيب صوتيّة صغيرة أو كبيرة داخل سياق محدد. فلا تنتج الأصوات أي معنى إلا عندما تتفاعل وتشكل علاقات بنائية دلالية [١٣]، وقبل البدء في رصد التراكيب الصوتية المتكررة في النّص، يجب الوقوف على المفهوم اللغوي والاصطلاحي للصوت.

الصوت (لغة|):جاء في معجم (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٠هـ): ((صَوْتٌ : صَوّت: صَوّت فلان بفلان تصويتاً أي دعاه. وصَاتَ يَصُوتُ صَوْتاً، فهو صَائِتٌ بمعنى صَائِح. وكُلُّ ضَرْبٍ مِنَ الأغنيات، صَوْتُ من الاصواتِ. ورجلٌ صَائتُ: حَسَنُ الصوتِ شديدَهُ، وَرَجُلٌ صَيّت ، حَسَنُ الصوت،

وفلانٌ حَسَنُ الصّيْتِ : له صيتٌ وذِكرٌ في الناس حَسنٌ))[١٤]. أي أنّ الصوت هو كل وحدة نطقية او دلالية تستعمل للدعوة أو الصياح، وتعتبر في الموسيقى وحدة من الوحدات الإيقاعية أو اللحنية.

الصوت (اصطلاحاً) : يعد ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في كتابه (سر صناعة الإعراب) من أوائل العلماء الذين فرّقوا بين الصوت والحرف إذ عَرف الصوت بقوله :((اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً ، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها ...)). [١٥]

وعرّفه الدكتور إبراهيم أنيس، بقوله:((هو حقيقة ندرك أثرها قبل أن ندرك كنهها))[١٦].أما الدكتور كمال بشر، فقال بأنه: ((الصوت اللغوي أثر سمعي يصدر طواعية واختيارا عن تلك الأعضاء المسماة تجاوزاً اعضاء النطق))[١٧]. أي أنّ الصوت هو اثرٌ سمعي محسوس يصدر عن النفس، ويشكّل بالحروف والمقاطع وفق امتدادها وطبيعتها. ويتضح الفرق بين تعريف الصوت اللغوي والاصطلاحي في أنّ التعريف اللغوي يُركّز على المعنى العام للكلمة ، مثل النداء أو الصياح ، بينما التعريف الاصطلاحي يوضح الخصائص الفنية للصوت، من مصدره النفسي، وآلية تكوينه بالحروف والمقاطع .

أما علم الأصوات: فـ((هو الدراسة العلمية للصوت الإنساني من ناحية وصف مخارجه وكيفية حدوثه، وصفاته المختلفة التي يتميز بها عن الاصوات الأخرى، كما يدرس القوانين الصوتية التي تخضع الأصوات في تأثيرها بعضها بعض عن تركيبها في الكلمات والجمل)).[١٨] ويقسم علم الأصوات على وفق الجانب الوظيفي على قسمين أساسين، هما: (الفوناتيك) (phonetics) و(الفونولوجيا) (Phonology) ، الأول المعروف بـ(علم الأصوات) يقوم بدراسة الأصوات من جانبها الفيزيائي ، في حين يعنى الآخر المعروف بـ(علم وظائف الأصوات) بدراسة وظائف الأصوات والنظام الصوتي داخل اللغة ، وكيفية تأثيرهما على المعنى .[١٩]

وفي ((**زيارة الناحية المقدّسة**)) يظهر التناغم الصوتي الذي يمنح النص أبعاداً دلالية تعزز تأثيره العاطفي، إذ تتجلى في الزيارة ظواهر صوتية متنوعة على مستوي الفوناتيك والفونولوجيا. وإن تنوع الظواهر الصوتية في الزيارة لم يكن جانبًا جماليًّا أو ترفًا لغويًّا محضاً، بل هو جزءٌ أساس في تكوين التأثير العميق للنص على روحية المتلقي، إذ تنسجم الأصوات مع المعاني ، لتشكل. تناغماً ينطبع في الوجدان ، ويظل محفوراً في الذّاكرة .

١- **المطلب الأول : الصّفات الصوتية ودلالتها :**

اهتم علماء اللغة منذ القدم بالأصوات وصفاتها اهتمامًا كبيرًا، ويظهر ذلك عبر الإشارات إليها في كتب التراث اللغوي، مثل مؤلّف (الكتاب) لسيبويه (ت١٨٠هـ) ، وسر صناعة الإعراب لابن جني

(ت٣٩٢هـ) إضافة إلى الدراسات الحديثة للأصوات وطبيعتها ودلالاتها ،إذ قسم سيبويه (ت ١٨٠هـ) الأصوات –وفق اصطلاحه لها بـ(الحروف)– إلى ثلاثة أنواع[٢٠] :

١– بحسب شدة العارض، صنفها إلى أصوات شديدة وأصوات رخوة. والأصوات الشديدة ،هي(ء، ق، ك، ج ، ط ، ت، د ، ب) ، والأصوات الرخوة من(هـ، ح، خ ، غ ، ش، ص ، ض ،س ، ز ،ظ ،ث ،ذ ، ف).[٢١]

٢– بحسب اهتزاز الأوتار الصوتية وذبذبتها ، صنفها إلى مجهورة ومهموسة ، والأصوات المجهورة ، هي (ء ،ا، ع،غ، ق، ج ،د، ذ ، ز، ر، ي، ل، ن، ط،و،م، ب، ظ، ض)، وماعدا ذلك من الأصوات فهي مهموسة.[٢٢]

٣–بحسب موقع اللسان من حيث ارتفاعه وانخفاضه صنفها إلى مطبقة ومنفتحة ، والاصوات المطبقة أربعة هي (ط ، ظ، ص، ض) ، والأصوات المنفتحة جميع الحروف ماعدا الحروف الأربعة المطبقة [٢٣] .وشيوع الأصوات في النّص يوحي بدلالات متعددة ،إذ تعمل صفات الأصوات على منح اللفظ طابعه الدلالي ،وتؤثر في كيفية استقبال المتلقي للمعنى[٢٤].(لقد تم الاعتماد على تقسيم صفات الاصوات عند سيبويه لكونه أحد أقدم وأوثق المراجع في وصف اللغة العربية . فقد امتاز سيبويه في تحديد مواضع الحروف ومخارجها بدرجة عالية من الدقة والضبط .ويجدر بالذكر أنّ هذا الاختيار لا ينفي وجود أراء لاحقة أو مصادر أخرى ، لكنه يوفر قاعدة منهجية وثابتة يمكن الاستناد إليها في الدراسة) .

اعتمد الإمام(عليه السلام) في نصّ **((زيارة الناحية المقدّسة))**على التنوع الصوتي بشكل واضح لزيادة قوة التأثير العاطفي في النص، ولتحقيق مقاصد أسلوبيّة هامة تحتاج إلى تأمل ودراسة دقيقة لفهمها ولمعرفة كيفية تأثيرها على المتلقي.

وألّف الجدول الآتي لتوضيح صفات الأصوات في نصّ الزيارة ، من حيث نوعها وعددها، ونسبتها:

النوع	الأصوات المجهورة	الأصوات المهموسة	الأصوات الشديدة	الأصوات الرخوة
العدد	٣٢٠٩	١٢٠٣	٩٧٤	١٤٨٥
النسبة المئوية	%٣١,٩٣	%١١,٩٧	%٩,٧	%١٤,٧٨

نلحظ اعتماد الإمام(عليه السلام)على الأصوات المجهورة بنسبة عالية، وبالفعل عند قراءة النص نجد أن الأصوات المجهورة تركت دويّاً وأثراً بارزاً فيه. ثم تليها الأصوات الرخوة من حيث العدد، ثم الأصوات المهموسة، ثم الأصوات الشديدة، ولكل من هذه الأصوات دلالات أسلوبيّة تؤثر في المعنى الكلي للنص.

ففي فقرة :((**فلما رأوكَ ثابت الجأش ، غير خَائِفٍ وَلا خَاشٍ ، نصبوا لك غوائل مكرهم ، وَقَاتَلُوك بكيدِهِمْ وَشَرْهِمْ ، وَأَمَرَ اللعين جُنُودَهُ ، فَمَنعوكَ الماء وَ وُرُودَه، وناجزوك القتال ، وَعَاجَلُوك النزال ، ورشقوك بالسهام والنبال ، وَبَسُطُوا إِلَيْكَ أَكفَّ الاصْطِلامِ**)).[٢٥] نلحظ الاحتشاد والتزاحم اللغوي للأصوات المجهورة ،مثل (الراء، الالف،الدال، الغين ،اللام الواو ،الهمزة، النون ،الميم ، الباء ،الياء ،الجيم ،العين، الزاي ، الطاء) ، وتكاد تكون الحروف المجهورة جميعها في الفقرة ، حتى أنّ بعض الكلمات جاءت جميع حروفها مجهورة ، مثل (غير، وأمر، ووروده) فهذا الاحتشاد والكثافة لم يكن اعتباطياً، بل أسهم في تصوير جو الصراع والمواجهة ، مما عزّز الاحساس بشدة الموقف والتحدي.

وإنّ تكرار صوت (الألف) المجهور تكراراً ملحوظاً مثل(ثابت ، وخاشٍ، وناجزوك) ، جسّد للمتلقي صورة خيالية للثبات والصمود ،وعكس قوة الإرادة عند الإمام الحسين(عليه السلام). أما صوت (الواو) ، فقد جاء بارزاً في الكلمات، مثل(ووروده، وجنوده، وقاتلوك، وناجزوك، ورشقوك) مشيراً الى الصدام العنيف والمباشر، والإيحاء إلى أنّه لا مجال للهدنة أو الفتور .

ومن الأصوات التي ترددت بوضوح ايضاً هو(صوت السين) إذ ورد ثلاثمئة وستة وعشرين مرة مما أصبح أحد الأصوات البارزة التي تستدعي التحليل الدلالي. وبما أنه صوت مهموس ورخو، فإن له أثاراً خاصة على دلالة البُنيّة الصوتية في النّص. ويقول الإمام واصفاً حال جده الحسين(عليه السلام):((**وقد سكنت حواسك ، وخفيت أنفاسك ، ورفع على القنا رأسك، وسبي أهلك العبيد .... يساقون في البراري والفلوات، وايديهم مغلولة الى الأعناق، يطاف بهم في الأسواق**))[٢٦]. يتجلى تكرار (صوت السين) في الفقرة السابقة بوصفه عنصرًا صوتيًّا بارزًا، إذ منح النّص إحساساً بالحذر والغموض بفضل طبيعته المهموسة التي توحي بالخفة والخفاء إلا أن حدّة هذا الصوت، على الرغم من همسه أكسبته دلالة القوة والصمود ، مما يعكس صلابة الإمام الحسين وآل الحسين (عليه السلام)على الرغم مما تعرضوا له من ظلم وعذاب. وقد عزز وروده بكثرة في النص من دلالات الظلم والقسوة ،منها (الاستبداد، والأسر، والإساءة ، والسوط) ، وهذا يثير إدراك المتلقي ويوقظه ،لأنه يشحن النّص بشعور المعاناة والاضطهاد المستمر و المتوالي .

إلى جانب (صوت السين) ، ظهرت أصوات أخرى كان لها أثر لافت في تعزيز السياق ودلالته، إذ اسهمت في تأليف البُنية الصوتية للنص وإثراء معانيه ،ومنها صوت (الجيم) الذي ورد مئة وثمانية وعشرين مرة ،مضيفاً إحساساً بالمقاومة والمجابهة. وصوت (الكاف) الذي ورد مئتين وأربعة وسبعين مرة وقد أوحى بحالة الألم و الانكسار، وصوت (الدال) الذي ورد مئتين وتسعة وعشرين مرة اثباتاً للنص بالقوة والتوكيد و صوت (التاء) الذي ورد ثلاثمئة وتسعين مرة، وهو الأكثر وروداً بينها ،ولاشك أنّ لتكراره دلالات معبرة تستحق الوقوف عندها بالتحليل ،ومنها في الفقرة الآتية :

((**تحوطُ الْهُدَى وَتَنصُرُهُ ، وَتُبْسُطُ الْعَدْلُ وتنشره ، وتنصر الدين وتظهره ، وتكفّ العابث وتزجره ، وتأخذ لِلدَّنيّ مِنَ الشَّرِيفِ، وتساوي في الحكم بين القوي والضعيفِ**))[٢٧] .يتبين لنا في هذه الفقرة من الزيارة تزاحم في صوت(التاء) الشديد، مما عكس دلالة التأكيد على القوة والحزم في القيادة. وهذا التّكرار البارز يخلق نسقاً صوتيًّا متناسباً مع المعاني في النّص ، مثل المعاني الدالة على العدل ونصرة الحق كما في (تحوط، وتبسط، وتساوي)، مما يمنح المتلقي إحساساً بالحركة المستمرة والثبات، وتصدُّر (التاء) في الأفعال أضفى على النص ديناميكية خاصة ، دالة على القيادة الحكيمة ، والتصدَّر والاستمرارية. وإضافة إلى صوت(التاء)، ظهر في النص صوتا (الكاف والدال) اللذان عززا معنى التأكيد والردع والحزم ، كما في (تكفّ، والدين، والدنيّ). هذا الاستعمال الصوتي لم يكن اعتباطياً ، إنما تناغمت الأصوات مع المعاني، مما جعل الفكرة أكثر وضوحاً وتجسيداً.

٢- المطلب الثاني : دلالة التّكرار الصوتي :

يعد التّكرار من الظواهر البارزة في النصوص الأدبية، التي أثر هام في التحليل الأسلوبي ، فهو لا يقتصر على ترديد المفردات والأصوات والعبارات،إنما هو فن أسلوبي وبلاغي يمنح النص نسقاً صوتيًّا ودلاليًّا متفرداً، مما يساعد في تسليط الضوء على المعاني بدقة .وظهرت هذه الظاهرة (التّكرار) في أغلب النصوص الأدبية، بدءاً من الشعر وصولاً إلى النثر. ويعتمد المنشئ التّكرار لتحقيق أهداف أسلوبيّة متعددة، منها وأبرزها (التأكيد).إذ يعد ((التّكرار باب كبير يأتي التأكيد كالغرض له ،لأن التكرير كما أثبت العلماء أبلغ من التأكيد، وممن قال بذلك الزركشي في كتابه "البرهان " فقد قال :"واعلم أن التكرير أبلغ من التأكيد "))[٢٨]، فضلاً عن البُعد الصوتي الذي يحدثه، والأثر العاطفي الذي يتركه . ومفهوم التكرار هو ((مصدر على صيغة "تفعلل" مأخوذ من كرر، وأصله الرجوع ،ويفيد كذلك الإعادة وترديد الصوت وتاء التّكرار ليس لها إلا الفتح ولا يجوز كسرها، لأن المصادر إنما تجيء على "التَّفعال" بفتح التاء))[٢٩]. والتّكرار في اللغة هو:((كرر:الكرُّ: الرُّجوُعُ ،ويقال: كرر عليه الحديث، والكرّ الرجوع على الشيء، ومنه التّكرار))[٣٠]،وهو ايضاً:((الإتيان بشيء مرة بعد أخرى))[٣١]،أو هو:((دلالة اللفظ على المعنى مرددا))[٣٢]. واختلف البلاغيون في تصنيفه ، منهم من قَصره على اللفظ، ومنهم من وسّع محيطه ليشتمل على الصوت أو حتى العبارة .كما قسموه على تكرار مفيد ومحمود يقوي المعنى ويخدمه ، وتكرار غير مفيد يثقل النص ولا يكون إلا تعباً ووهماً لا حاجة إليه.[٣٣]

وضمن الهيكل العام للتحليل الأسلوبي يُعدّ التّكرار دليلاً على الأسلوبيّة التعبيرية للمنشئ ، إذ يكشف أسلوبه اللغوي، وانفعالاته، وتوظيفه للظواهر الصوتية بمهارة، وهذا يساعد في تحليل البُنية الصوتية الأسلوبيّة للنص، ومدى تحقيقها لمقاصده الدلالية والجمالية[٣٤] ،ولكون التّكرار أحد المفاتيح الأساسية

للأسلوبية الصوتية .سنقف على أنماط التّكرار البارزة في ((**زيارة الناحية المقدّسة**)) وتصنيفها ومعرفة دلالاتها.

١) التّكرار الافتتاحي :

وهو أسلوب بلاغي يتمثل في تكرار المفردات أو الأصوات أو العبارات في بداية الفقرات أو الجمل ، كغاية لتقوية الفكرة وتدعيمها، والتأثير في المتلقي وجذب انتباهه. ونجد أن الإمام(عليه السلام) يكرر مفردة (السّلام) في بداية الزيارة، ويتدرج فيها من العموم إلى الخصوص، إذ بدأ بالسّلام على الأنبياء عامة حتى وصل الى السلام على محمد وآل محمد(عليهم السلام)، وفي هذا التّكرار تأكيد ذا دلالة هامة على القيمة الدينية لـ(لسّلام) ، ((ويمثل السّلام أساس الزيارة وعمادها، لأن الغرض من الزيارة الوصول الى صاحب المقام و ومخاطبته بما يحبه و يرضاه ،ولا أفضل من السّلام لكونه تحية الإسلام وأحد الشعائر التي يمتاز بها المسلم عن غيره))[٣٥] .

وقد تكررت مفردة (السّلام) في ((**زيارة الناحية المقدّسة**)) مئة وسبع مرات. إذ وُجِدَ اغلبها في بدايات الزيارة و واحدة فقط في خاتمتها .ومنها ،قوله (عليه السلام):((**السّلام على حُجَّةَ رَبِّ العالمين ، السلام عليك وعلى آبائك الطاهرين، السلام عليك وعلى أبنائك المستشهدين. السلام عليك وعلى ذريتك الناصرين**))[٣٦]. كما نلحظ في الفقرة السابقة ، وردت مفردة (السّلام) أربع مرات .

مما كشف أن (السّلام) هو العنصر المركزي والأساسي لـ((**زيارة الناحية المقدّسة**)) إذ ((يحقق التّكرار الاستهلالي وظيفة عضوية بوصفه عامل ربط بين الوحدات ،يتعدى المستوى الصوتي الى المستوى النحوي، وهو – على هذا – تقنية أسلوبية تظهر فيها براعة الأديب وفنية النص وأصالته، كما أنه يرتبط بالتقسيم الفضائي للكتل النحوية)) [٣٧]. لذلك سَنَدرُس مفهوم هذا الاستفتاح في استعمال مفردة (السّلام) في الفصل القادم ، مع التركيز على المستوى التركيبي بشكل مفصل .

٢) تكرار أدوات الروابط :

تُعد أدوات الربط من أبرز القرائن في الاستعمال العربي ((وهي الحروف التي تربط الكلام بعضه ببعض نحو: من ،إلى ،وعن ،وعلى ،واشباهها))[٣٩]، وهي مبنيات تنقسم إلى نوعين: ما يدخل على الجمل كأدوات الشرط، والنواسخ، والنفي، والقسم ، وما يدخل على المفردات كحروف الجر، والعطف، والاستثناء، والنواصب، والجوازم.[٤٠]

والمتأمل في((**زيارة الناحية المقدّسة**)) يلحظ اعتمادها الكبير على أدوات الربط المتنوعة ،سواء أكانت لفظية (ظاهرة لفظياً ومكتوبة) أم معنوية(غير ظاهرة لفظياً يدل عليها السياق). ، إذ تمثلت في حروف الجر: ((حروف الجر أدوات ربط ،تستخدم لربط أجزاء الكلام حتى تتضح تفاصيل المعنى ،لذلك لها قيمة دلالية وسياقيه نصية ..، ولحروف الجر وظيفتان : دلالية نحوية، وإحداث الترابط والتماسك بين

عناصر الجملة ،فلا يمكن الاستغناء عنها))[٤١]، ولا سيما حرف الجر (على)، الذي ورد في (أربع مئة وإحدى وتسعين) موضعاً، والذي عبر عن عظم ما تعرض له أهل البيت (عليهم السلام) من انتهاك لحرمتهم ومكانتهم ، إذ يظهرون في السياق مقهورين ومغلوبين على أمرهم رغم عظم شأنهم وجلالة قدرهم عند الله تعالى . وظهرت أدوات الربط أيضاً في حروف العطف، أنّ((الغرض من عطف الجمل ربط بعضها ببعض واتصالها ،والإيذان بأنّ المتكلم لم يرد قطع الجملة الثانية عن الأولى))[٤٢]، ولا سيّما حرف العطف (الواو) الذي ورد في (أربعمئة وتسعين موضعاً) ،الذي جسّد صورة مغايرة ، تحكي تراكم الأحداث وتعددها، فضلاً عن ترابطها الزمني وتسلسلها .

أما الأسماء الموصولة((معنى الموصول هو "أن لا يتم بنفسه ،ويفتقر إلى كلام بعده تصله به ليتم اسمًا ، فإذا تم ما بعده كان حكمه حكم سائر الأسماء التامة))[٤٣]، وقد استعملت (ستين) مرة في النص، ولا سيما الاسمان الموصولان (الذي، ومَنْ):(("الذي" :يقع على كل مذكر من العقلاء وغيرهم .و "مَنْ": فإنها تكون بمعنى "الذي" وتحتاج إلى الصلة مثل ما احتاجت إليه "الذي" ،إلا أنها لا تكون إلا لذوات من يعقل))[٤٤]. ودلالة تكرار الاسمين الموصولين (الذي ، ومَنْ) أسهم في بيان الفاعل في النص بوضوح، لا من خلال الربط النحوي فحسب، بل من خلال خلق تكرار تركيبيّ وصوتيّ عزّز حضوره، ومنحه وزنًا بلاغيًا خاصًا، وهو ملمح من ملامح البراعة الأسلوبيّة المدروسة والمقصودة، إذ فتح المجال لتتالي الصفات والأفعال، والربط بين الشخصيات وصفاتها، مما ضخم صورتها الذهنية عند المتلقي.

وقد خصص نص ((زيارة الناحية المُقدّسة)) الاسم الموصول "الذي" للأنبياء جميعاً، ومنها في المواضع الآتية:

((**السَّلَامُ عَلَى شُعَيْبٍ الَّذِي نَصَرَهُ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِهِ، السَّلَامُ عَلَى دَاوُدَ الَّذِي تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَتِهِ**)).[٤٥]

في حين خصص الاسم الموصول "مَنْ" للإمام الحسين (عليه السلام)،ومنها في الموضع : ((**السَّلَامُ عَلَى مَنْ تَوَلَّى دَفْنَهُ أَهْلُ الْقُرَى السلام**))[٤٦]، بل حتى عندما كان موضع الحديث عن نفسه (عج) استعمل "مَنْ" ، ومنها في الموضع الآتية: ((**سَلَامَ مَنْ قَلْبُهُ بِمُصَابِكَ مَقْرُوحٌ**))[٤٧].إنّ هذا التمايز الذي بدا واضحاً في النص وهو ربط الاسم الموصول "الذي" بالأنبياء ،تبين فيه دلالة على تخصيصهم بهذه الصفات ، وإشارة إلى استمرارهم بوصفهم رموزًا خالدة .

وربط الاسم الموصول "مَنْ" بالإمام الحسين (عليه السلام) فيه دلالة واضحة على تفرد الإمام في الأحداث والمواقف ،وإشارة إلى أنّه الإنسان الخالد بأفعاله المدركة وشخصيته العاقلة الواعية على مرّ التاريخ. والاسماء الموصولة لم تكن مجرد عناصر لغوية عابرة ، بل قامت بدور الجسر الرابط بين الشخصيات

وصفاتهم من جهة، وبين الأحداث وسياقاتها من جهة أخرى . فقد أدت وظيفة مركبة ، إذ جمعت بين البعد الوصفي والبعد السردي ، وأسهمت في تحقيق الترابط بين أجزاء النص.

قد بلغ عدد كلمات الزيارة إجمالاً (ألفين وخمسمائة وعشر) كلمة شغلت منها أدوات الربط حيزاً واضحاً، إذ قد بلغ مجموع هذه الأدوات جميعاً في النص (ألفاً وخمس مئة وأربعين) أداة، وهو ما يعد تقريباً أكثر من ربع نصّ الزيارة. حملت جميعها دلالات موحية وهادفة من الإمام (عليه السلام) . وأولى هذه الدلالات تتمثل في شدة التماسك والترابط بين أجزاء النص، مما يعكس وحدة متينة في متنها ،وتشير هذه الأدوات إلى أن المعلومات والأحداث جاءت مترابطة ترابطاً لا يقبل الفصل بين بين الماضي والحاضر والمستقبل، فكل شيء في هذا النص يرتبط بعضه ببعض، ويتسق حول قضية الإمام الحسين (عليه السلام)التي تعد الرابط المحوري الذي يجمع بين هذه الأزمنة، ويمنحها امتداداً واستمرارية عبر التاريخ.

٣) التّكرار الختامي :

يبرز التّكرار الختامي عبر تكرار لفظة(اللهم) في بدايات الجمل الأخيرة للنص، إذ تكرر لفظ (اللهم) ثلاثاً وعشرين مرة . والتّكرار هنا فضلاً عن كونهه عنصراً زخرفيًّا، وتناغماً صوتيًّا ،إلا أنه يحمل دلالة واضحة، على تأكيد الرجاء والابتهال والتضرع إلى الله تعالى ، فهو الحَكَم العادل الذي يلجأ إليه المظلوم . وفي فقرة الدعاء يقول(عليه السلام): ((**اللَّهُمَّ إِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِهَذَا الصِّدِّيقِ الْإِمَامِ، وَنَسْأَلُكَ بِالْحَقِّ الَّذِي جَعَلْتَهُ لَهُ، وَلِجَدِّهِ رَسُولِكَ، وَلِأَبَوَيْهِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ، أَهْلِ بَيْتِ الرَّحْمَةِ**))[٤٨]، إلى جانب فقرات أخرى يعدد أسماءالأئمة المعصومين(عليهم السلام) و يتوسل بهم إلى الله تعالى، وهذا يشير بوضوح إلى أهمية التوسل بالله من محمد و آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) ،فهم باب الله الذي منه يؤتى ولاسيّما الإمام المظلوم سيد الشهيد(عليه السلام).

وعلى الرغم من أنّ الزيارة صادرة عن إمام معصوم إلى إمام معصوم آخر، إلا أنّها في جوهرها زيارة تعليمية، تهدف إلى تعليم الزائر كيفية الدعاء وأهميته ،مما يعكس البعد التربوي والتوجيهي لـ ((**زيارة الناحية المقدّسة**)).

وفيما يأتي مخطط توضيحي لتكرار الكلمات المفتاحيّة للدعاء في نصّ الزيارة:

المخطط رقم (٢) : من إعداد الباحثة

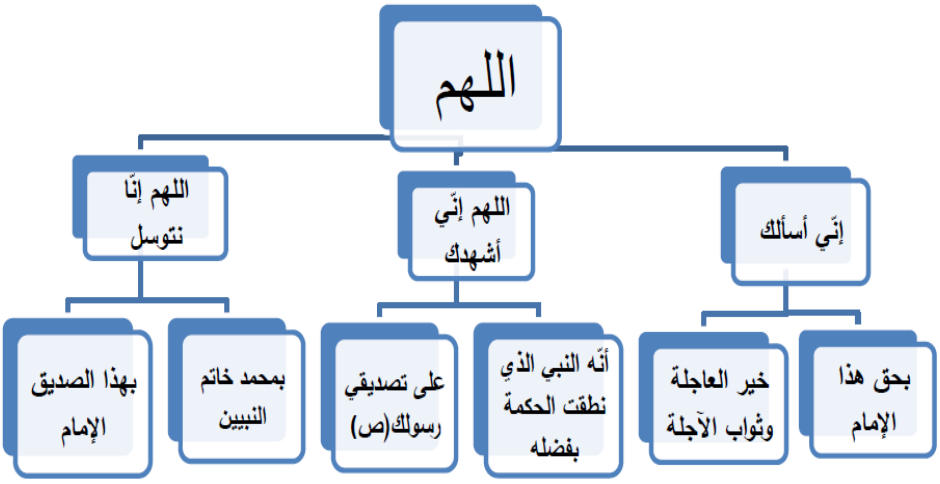

٥- المطلب الثالث: البعد السّجعي :

السّجع (لغة): عرفه الخليل (ت ١٧٠هـ) بأنّه : ((مشتق من سجع الرجل إذا نطق بكلام له فواصل كقوافٍ في الشعر من غير وزن))[٤٩]. وعرفه ابن منظور(ت٧١١هـ)، قائلاً:((سَجَعَ يسْجَعُ سَجْعاً: استوى واستقام وأشبه بعضُهُ بعضاً ،والسّجع: الكلامُ المقفَّى ،والجمعُ أسجاعٌ؛ وأساجيعُ سَجَعَ يسْجَعُ سَجْعاً وسَجَّعَ تَسْجيعاً: تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشّعرِ من غيرِ وزنٍ)).[٥٠]

السّجع (اصطلاحاً) : ((هو تواطؤ الفواصل في النثر والشعر على حرف واحد والأصل فيه الاعتدال في مقاطع الكلام)).[٥١] كما قيل أيضاً إنّه : ((توافق الفاصلتين في الحرف الأخير))[٥٢]، والفاصلة هي ((الكلمة الأخيرة في القرينة، ويسميها بعضهم بقافية النثر))[٥٣].

ومن هنا يفرق البلاغيون بين الفاصلة والقافية والسّجع؛ إذ إنّ ((نهاية بيت الشعر تسمى القافية، ونهاية النثر سجعاً، ونهاية الآية فاصلة)).[٥٤] وقد شاع بين علماء البيان أنّ السّجع هو تشابه في فواصل الكلام المنثور، سواء أكان التشابه في الحرف، أم في الوزن، أو فيهما معاً[٥٥].

لقد اعتنى العرب بأواخر الكلمات لأنّها تحدث مؤثرات نغمية تجذب انتباه السامع ، وترغبه في الاستماع ، وأنّ ترديدها و استرسالها يجعلانها سريعة الحفظ[٥٦]، فتشابه الحرفين صوتيًّا يعطي رنة موسيقية عند الجهاز السمعي ويثير دوافعه ويهيئه تلقائياً لسماع ما بعده[٥٧]. إضافة إلى القيمة الجمالية التي يمنحها للنص لتجعله أكثر قوة وتماسكاً وبلاغة .

ويقسم السّجع من حيث التوافق الصوتي بين فواصله على ثلاثة أقسام رئيسة، وهي :

١) السّجع المتوازي والمتوازن:((وهو أن تتفق اللفظة الأخيرة من القرينة مع نظيرتها في الوزن والروي))[٥٨]. مثل قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۞ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴾ [الضحى:٩-١٠].والسّجع المتوازن : هو((أن يتفقا في الوزن دون التقفية))، مثل قوله تعالى :﴿ وَّنَمَارِقُ مَصفُوفَةٌ ۞ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾{الغاشية:١٥-١٦}))[٥٩].

٢)السّجع المطرّف : ((وهو ما تتفق فيه الكلمات في نهايات الفواصل بالروي وتختلف بالوزن))[٦٠]، مثل قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۞ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح ١٣-١٤].

٣) السّجع المرصّع : ((وهو ما كان فيه ألفاظ إحدى الفقرتين كلها أو أكثرها مثل ما يقابلها من الفقرة الأخرى وزناً وتقفية))[٦١]، قال تعالى:﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية:٢٥-٢٦].((يقول الخطيب القزويني :"وشرط السّجع حسن اختلاف قرينته عن المعنى ،وأحسن السّجع ما تساوت قرائنه، كقوله تعالى :﴿ في سِدر مَّخضُود ۞وَطَلح مَّنضُود۞ وَظِلّ مَّمدُود﴾{الواقعة:٢٨ - ٢٩}))[٦٢].

قد شكّل السّجع ميزة أسلوبيّة في نصّ((زيارة الناحية المقدّسة))؛ إذ يظهر بوضوح وهيمنة على فقرات نص الزيارة. لكن الرغم من هيمنة السّجع في النص، إلا أنّ الأسلوبية الصوتية لم تأت على وتيرة واحدة من الفواصل ،بل جاءت متنوعة ،منتقلة من فاصلة إلى أخرى ،وذلك على وفق ما يقتضيه السياق. ولم يضعف ذلك التنوع من انسجام النص وإيقاعه بل خدم الغرض المقصود ،وكشف عن مرونة النص في استعمال السّجع من دون الوقوع في تكلف. ولعل في ذلك احتذاءً بالقرآن الكريم الذي لم يلتزم نسقاً واحداً من السّجع أو فاصلة ثابتة ، فالفواصل في السور ولاسيما السور المكية ،تتوالى من دون تقيد بقافية ، كما في قوله تعالى:﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۞النَّاشِطَاتِ نَشْطًا۞وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾{النازعات:١-٣} [٦٣]وظهر هذا الأسلوب القرآني جليًّا في بعض النصوص النثرية والدينية خصوصًا، ومنها((زيارة الناحية المقدّسة))،وذلك لأن التنوع في الفواصل يثري النص، ويبرز مرونة الكاتب في توظيف الإيقاع لخدمة المعنى المراد.

ومن أكثر حروف السّجع اللافتة في نص ((زيارة الناحية المقدّسة)) كانت : الهاء المربوطة (ه)، والهاء مع الألف (ها)، إذ شكّلتا ما يقارب مئة وأربع من مجموع فواصل النص إجمالًا. وفي المرتبة الثانية جاء حرف النون مع الياء (ين) وقد ورد ثلاثًا وخمسين مرة، يليه حرف الكاف الذي ورد إحدى وأربعين مرة كضميرٍ متصل، ثم حرف الميم الذي ورد اثنتين وثلاثين مرة. وتُعدّ هذه من أكثر الفواصل اللافتة، ولها دويّها المؤثر في بنية النص الصوتيّة. ولعل هذا التنوع مقصوداً لجعل الإيقاع النصي أكثر تأثيرا وجدانيًّا في المتلقي ، ولجعل الزيارة أقرب للترتيل من للقراءة العادية .

أما من ناحية أنواع السّجع التي برزت وكونت سمة أسلوبيّة خاصة ، هي:

١) السّجع المتوازي والمتوازن :

وهو توافق نهايات الجمل والعبارات في الوزن والروي، أو في الروي وحده مع اختلاف الوزن[٦٤]، وقد ورد السّجع المتوازي بكثرة في نص الزيارة ،وذلك في ثلاثمئة وواحد وثلاثين موضعاً، وهو ما يشكل أربعة وسبعين في المئة(٧٤%) من مجموع السّجع الوارد في النص ، لذلك فهو يحتل المرتبة الأولى من حيث الحضور والهيمنة على فقرات النص.

وفيما يأتي تحليل لبعض النماذج التي مثّلت ميزةً أسلوبيّةً مع السّجع المتوازي :

((السَّلَامُ عَلَى ابْنِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ، السَّلَامُ عَلَى ابْنِ سَيِّدِ الْأَوْصِيَاءِ، السَّلَامُ عَلَى ابْنِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ))[٦٥]. قد تبيّن في الفقرة عبر الكلمات الآتية:

الأنبياء ← الـ/أَنـ/بِـ/يا/ء ← الأفعلاء

الأوصياء ← الـ/أو/صِـ/يا/ء← الأفعلاء

الزّهراء ← أزْ/زَهـ/را/ء ← الفعلاء

إنّ التتابع الصوتي للفاصلة (اء) في النص السابق، المتمثل في امتداد المدّ بالألف يليها قفل الهمزة، قد أنتج جرسًا صوتيًّا موحّدًا وإيقاعًا هادئًا منتظمًا يجعل الأُذن في حالة توقّع دائم للفاصلة، الأمر الذي أسهم في ترسيخ الجملة في الذاكرة السمعيّة. ولم يتوقف هذا التناغم عند حدود الإيقاع فحسب، بل تجاوزه إلى دلالة رمزية عميقة؛ إذ إنّ امتداد المدّ يوحي بـ الامتداد النسبي للعترة الطاهرة، بينما تُشير الهمزة في نهاية كل فاصلة إلى خاتمة الاصطفاء لمحمد وآل محمد. وكأنّ الإمام (عليه السلام) يبين عبر هذا التركيب الصوتي المحكم، امتداد النبوة وتمام الدين من خلال نسلٍ المصطفى(عليه السلام)،إذ يتصل بأصل النور المحمدي، ويكتمل في ذريته الطاهرة.

نموذج آخر للسجع مرصع : ((كُنْتَ رَبِيعَ الْأَيْتَامِ، وَعِصْمَةَ الْأَنَامِ، وَعِزَّ الْإِسْلَامِ، وَمَعْدِنَ الْأَحْكَامِ، وَحَلِيفَ الْإِنْعَامِ)).[٦٦]

الأيتام ← الـ/أيـ/تا/م ← الأفعال

الإسلام ← الـ/إسـ/لا/م ← الإفعال

الأحكام ← الـ/أحـ/كا/م ← الأفعال

الأنعام ← الـ/أنـ/عا/م ← الأفعال

في الكلمات السابقة نلحظ السّجع المتفق الروي وأغلب الأوزان ، والذي تجلى في حرف الألف المديّة والميم (ام) ، إذ جسد بمهارة توظيف السّجع توظيفاً لا يخدم المعنى فقط بل بخدمه ويعمقه ايضاً. وكأنما مجيء هذا التعداد المتفق في الوزن والروي لم يكن صدفةً أو عبثًا ، بل لإثبات غاية واضحة وجليّة ، وهي تمثيل كيف اجتمعت الحروف والأوزان بانسجامٍ تام ، ويجمع الإمام الحسين (عليه السلام) بين المبادئ والقيم ، وبين العدل والرحمة، محتويًا جميع الفضائل والصفات النبيلة في شخصية واحدة متكاملة .

٢) **السّجع المطرف :**

وهو أن ((تختلف الفاصلتان في في الوزن ويتفقان في حروف السّجع))[٦٧].وقد ورد هذا النوع من السّجع في ستةٍ وتسعين موضعًا من مواضع السّجع في نص الزيارة ،مشكلاً نحو اثنين وعشرين بالمئة من مجموع صور السّجع الوارد فيه. ومنه قوله (عليه السلام) :

((السَّلَامُ عَلَى مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ، السَّلَامُ عَلَى مَنْ جُعِلَ الشِّفَاءُ فِي تُرْبَتِهِ، السَّلَامُ عَلَى مَنِ الْإِجَابَةُ تَحْتَ قُبَّتِهِ، السَّلَامُ عَلَى مَنِ الْأَئِمَّةُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ)).[٦٨]جاءت هذه الجمل بفواصل متشابهة في الحرف الأخير (ه) ،ومع هذا التشابه، يتجلى اختلاف واضح في الوزن وطول المقاطع الصوتية ، وهذا يصنف ضمن السّجع المطرف.[٦٨] نحو:

- علانيَته ← عَ/لا/نِـ/يَـ/تِـ/هِ ← فَعاليَته
- ذرّيّته ← ذُرْ/رِيـ/يَـ/تِـ/هِ ← فُعّيلَته
- قبّته ← قُبْ/بَـ/تِـ/ه ← فُعّتِه

لكن على الرغم من توحد الفواصل الصوتية في نهاية الجمل ، إلا أن تراكيبها تختلف في البناء والطول والوزن، مما يمنحها تنوعاً أسلوبيًّا رغم حفاظها على رتابة دلالية تصاعدية ،وعلى الرغم من هذا التموج التنغيمي المتغير إلا أنه (عليه السلام) يشير إلى دلائل ثابتة وراسخة عبر هذه الاسماء، فالتربة الزاكية تحمل معنى الجذور والأصل والعلة الحقيقية وراء قداستها وبركتها وهو الإمام الحسين (عليه السلام) : ((عن النبي (صلى الله عليه وآاله) مخاطباً الحسين (عليه السلام): شِفاءُ أُمَّتي في تُربَتِكَ ،والأئِمّةُ من ذُرِّيَّتِكَ))[٦٩]، وإلى القبة السامية التي ترمز إلى الرفعة ، ليصل إلى الذرية التي تمثل الاستمرارية. مما خلق انسيابية وتسلسلاً في الأفكار، و أضاف للنص حيوية وسهولة في الحفظ والترديد. فضلاً عن ذلك ، قد يكون الإمام (عليه السلام) قصد الإشارة إلى أن معنى القدسيّة والعظمة لا تتجسد في شخص الإمام الحسين (عليه السلام) فحسب بل تشتمل على كل ما يحيط به ، سواء في الأرض التي ضمت جسده الطاهر، أم القبة التي تعلوه ، أم الذريّة التي امتدت من نسله. وربما لا يقصد بالقبة ارتفاعاً ماديًّا أو مكاناً محدداً ، بل أراد أن يعبّر عن الرفعة والعظمة اللا متناهيتين .فإنّ عظمة الإمام الحسين (عليه السلام) في السماء والأرض وما بينهما.

((قَائِلًا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قُتِلَ سِبْطُكَ وَفَتَاكَ، وَاسْتُبِيحَ أَهْلُكَ وَحِمَاكَ، وَسُبِيَتْ بَعْدَكَ ذَرَارِيكَ، وَوَقَعَ الْمَحْذُورُ بِعِتْرَتِكَ وَذَوِيكَ))[٧٠].

في هذه الفقرة ظهر السّجع المطرف بوضوح تام ، وتجلى في الكلمات الآتية :

- فَتَاكَ ← فَ/ تا / كَ ← فَعَاكَ

- حِمَاكَ ← حِ/مَا/ك ← فِعَاكَ
- ذراريك ← ذَ/را/ريـ/ك ← فَعاليك
- ذويك ← ذَ/ويـ/ك ← فَعيكَ

يتضح من الكلمات السابقة مظاهر التغير في السّجع المطرف تغييرًا جليًّا؛ إذ نلحظ تغير الاوزان بطريقة تدريجية مع بقاء السجع نفسه، فقد بدأ السّجع بحرفي(الألف والكاف)، ثم انتقل الى حرفي(الياء والكاف)، وهذا التغيير أضاف إيحاءً عاطفيًّا عميقاً حاكى الألم والحزن، مما جعل وقع النص أكثر تأثيراً على المتلقي. وأسهم في صياغة المعاني بأسلوب قصصي لترسيخها في الذهن، إضافة الى التدرج الدلالي في تصوير المصيبة ، بدءاً من اعلان القتل، فاستباحة الأهل، فسبي الذرية، جميع ذلك عزز من حجم المأساة والمعاناة في النص. ونلحظ أن استعمال كلمة (فتاك) في(يا رسول الله: قُتِل سِبْطُكَ وفَتاكَ)، على الرغم من أنّ الإمام الحسين(عليه السلام) كان عند استشهاده في السابعة والخمسين من عمره وليس بفتى صغير، ربما ذلك يحمل دلالة صوتية ودلالية معاً. فقد تجسد كلمة(فتاك) معنى الولد العزيز المميّز، الذي ليس كأي فتى عادي، بل هو سبط وسيد شباب أهل الجنة . أما لو استعملت كلمة (ولدك) أو(ابنك)، فقد تحمل دلالة أقل قوة وتأثيرًا، إذ تقتصر على المعنى الحرفي للأبوة من دون استحضار عظمة ومكانة الابن، ما يضعف من أثر النص من الناحية التعبيرية.

الخاتمة :

عبر دراسة البنية الصوتية في((زيارة الناحية المُقدّسة)) دراسة أسلوبيّة ، توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١. أبان التحليل الأسلوبي للجانب الصوتي في ((زيارة الناحية المُقدّسة)) المستوى اللغوي والتواصلي الرفيع لدى الإمام المهدي (عجّل الله تعالى فرجه الشريف)، إذ وُظِّفت الأصوات توظيفاً دقيقاً من حيث صفاتها وتكرارها وتسجيعها وتجنيسها، بما يخدم غاية النص في التأثير بالمتلقي وتعليمه وتكليفه، بعيداً عن الحشو والزخرفة اللفظية غير المجدية. وقد أدّى كل صوت أثراً معرفياً مقصوداً ذا دلالة واضحة، ومن ذلك صوت (السين) الذي ترك صدًى حزيناً مؤثراً.

٢.تبرز في ((زيارة الناحية المقدّسة)) ظواهر صوتية متنوّعة على المستويين الفوناتيك والفونولوجيا، منحت النص تناغماً خاصاً وأبعاداً دلالية عززت أثره العاطفي. ولم يكن هذا التنوع الصوتي مجرد ترفٍ جمالي، بل شكّل عنصراً أساسياً في عمق التأثير الروحي للنص، إذ انسجمت الأصوات مع المعاني لتحدث وقْعاً عاطفياً ينطبع في الذاكرة والوجدان.

٣.كشف التحليل أنّ الأصوات المجهورة هي الأكثر حضوراً مقارنة بصفات الأصوات الأخرى، وقد أثّر ذلك في الإيقاع العام للنص وأبرز دوره الأسلوبي في تعزيز النغمة البلاغية والانسجام الصوتي.

٤.اتضح اعتماد النص على أدوات الربط، ولا سيما الواو العاطفة، حيث شكّلت هذه الأدوات أكثر من نصف مفردات النص تقريباً، وأسهمت في ربط الألفاظ والأفكار بانسيابية لغوية عالية، مما عزّز التماسك الأسلوبي والانسجام الدلالي.

٥.لم يأتِ السجع في نص الزيارة على وتيرة واحدة، بل تنوّع بين السجع المتوازي والمطرف، الأمر الذي أضفى تنوعاً صوتياً وإيقاعاً متميزاً على فقرات النص.

الهوامش:

١) أهل البيت في الكتاب والسنة ، ص١٦٤

٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام ، ٢٥٧/٢

٣) ينظر: الموقع الإلكتروني : www.islamquest.net، تاريخ الاطلاع : (٢٠٢٥/٤/٩).

٤) ينظر: الاعتبار السندي لزيارات الناحية المقدّسة ،القسم الثاني،ص١٤٠،وينظر: شرح زيارة الناحية المقدّسة ١، الشيخ حسين آل حمدي، الرابط الإلكتروني:

https://youtu.be/BdAh٤Jd٢EJMlBVHP٣Q?si=E٤QDflYC٦ ،تاريخ الاطلاع : (٢٠٢٥/٤/٩).

٥) ينظر : دلالة الوفاء والولاء لسيد الشهداء في زيارة الناحية المقدسة ،ص ٢٧

٦) ينظر : ينظر : حديث عن زيارة الناحية المقدّسة ١ ، عبد الكريم الحائري ،الرابط الإلكتروني:

https://youtu.be/Y٩٣CLj_tnrY٥?si=CyXd٠ZozUxrVs٢ E ، تاريخ الاطلاع : (٢٠٢٥/٤/١٠).

٧) ينظر: مستويات التحليل الأسلوبي (أسسه وإجراءاته)، ص١١٦ .

٨) ينظر: كتاب التحليل الصوتي والدلالة للغة الخطاب في شعر المدح ابن سحنون الراشدي انموذجاً ،ص ١٦.

٩) الشيطان في نهج البلاغة دراسة أسلوبية صوتية ، ص ١٦٥

١٠) الأسلوبية الصوتية وأثرها في دلالة النصّ وفكّ شفراته : مثل تطبيقيٍّ من الشعر والقرآن،ص٤٥

١١) ينظر: مستويات التشكيل الأسلوبي في ديوان "شموخ في زمن الانكسار" للشاعر عبد الرحمن صالح العشماوي، المستوى الصوتي نموذجاً ،ص ٦٨١ ، وينظر: الخصائص الأسلوبيّة في شعر محمد عواض الثبيتي، ص ١٥

١٢) ينظر: الدعاء في زيارة عاشوراء قراءة في ضوء الأسلوبيّة الصوتية، ص٢٩٦

١٣) ينظر: المناجيات وأدعية الايام عند الإمام زين العابدين دراسة أسلوبيّة ، ص ٣٢-٠٣٣

١٤) معجم العين،٤٢١/٢.

١٥) سر صناعة الإعراب ،١/ ٦.

١٦) الأصوات اللغوية، ص ٥.

١٧) علم الأصوات،ص١١٩

١٨) مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص ١٣

١٩) علم الأصوات ،ص ٩

٢٠) علم الأصوات عند سيبويه للمستشرق الألماني أرتور شاده ،ص٤٠-٤١.

٢١) ينظر: الكتاب،٤٣٤/٤-٤٣٥.

٢٢) المصدر نفسه: ٤٣٤/٤.

٢٣) المصدر نفسه: ٤٣٦/٤.

٢٤) ينظر: الخصائص الأسلوبيّة في شعر محمد عواض الثبيتي ،ص ٢٠

٢٥) المزار الكبير ،ص٥٠٣- ٥٠٤.

٢٦) المصدر نفسه: ص٥٠٥.
٢٧) المصدر نفسه:٥٠٢.
٢٨) التّكرار مظاهره وأسراره،ص١٢، والبرهان في علوم القرآن، ١١/٣
٢٩) التّكرار مظاهره وأسراره، ص٢، وص٧.
٣٠) لسان العرب ،مادة كرر ، ٣٨٥١/٤٣
٣١) معجم التعريفات ،ص٥٩
٣٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ،٢٢٨/٣.
٣٣) المصدر نفسه:٢٢٨/٣
٣٤) ينظر: المناجيات و أدعية الأيام عند الإمام زين العابدين، ص ٣٤.
٣٥) البعد السندي والدلالي في زيارة الناحية المقدّسة ، ص ٢٣٦.
٣٦) المزار الكبيرة ،ص٤٩٨.
٣٧) اللغة الشعرية –دراسة في شعر حميد سعيد ، ص ١٢٥ ، نقلاً عن المناجيات وأدعية الأيام عند الإمام زين العابدين دراسة أسلوبية ، ص ٣٥.
٣٨) التكرار ظواهره وأسراره، ص١٩٣
٣٩) اللغة العربية معناها ومبناها،٢٢٤–٢٢٥.
٤٠) الربط النحوي وأثره في توجيه المعنى،ص١٦
٤١) شرح المفصل،٥٧/٣
٤٢) المصدر نفسه:٣٧١/٢
٤٣) المصدر نفسه:٣٧٢/٢ ،٣٧٩
٤٤) المزار الكبير،ص٤٩٦
٤٥) المصدر نفسه:٤٩٩
٤٦) المصدرنفسه:ص٥٠٠
٤٧) المصدر نفسه، ص٥١٣
٤٨) معجم العين ، ١/٣٦
٤٩) لسان العرب، مادة سجع، ١٩٤٤/٢٢
٥٠) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعرة ١،/ ١٩٥
٥١) جواهر البلاغة ، ص ٣٣٠
٥٢) البرهان في علوم القرآن ،ص٥٣
٥٣) الصوت اللغوي في القرآن ،ص ١٤٣
٥٤) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ،١٢/٣

٥٥) ينظر : صور القيادة عند الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة ، أ. د. كريمة نوماس، ص ٣٣، وينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، ١٧/٣

٥٦) صور القيادة عند الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة ، ص ٣٣.

٥٧) خزانة الأدب وغاية الأرب، ٢/ ٤١١

٥٨) معترك الاقران في إعجاز القرآن،٣٩/١

٥٩) الإيضاح في علوم البلاغة ، ٦٣٢/١

٦٠) جواهر البلاغة ،ص٣٣٠ – ٣٣١.

٦١) الإيضاح في علوم البلاغة ،ص٢٢٢،نقلاً عن :السّجع في العصر الجاهلي، ص ٧.

٦٢) تطوير الأساليب النثرية في الأدب العربي، ٣٦/١– ٣٧

٦٣) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز،١٢/٣

٦٤) المزار الكبير ،ص٤٩٧

٦٥) المصدر نفسه: ص٥٠٢

٦٦) معترك الأقران في إعجاز القرآن،٣٩/١

٦٧) المزار الكبير،ص٤٩٧

٦٨) دلالة الوفاء لسيد الشهداء في زيارة الناحية المقدّسة،ص٣١.

٦٩) موسوعة الإمام الحسين(عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ،٣٢٣/٨

٧٠) المزار الكبير،ص٥٠٦

مصادر الدراسة ومراجعها :

القرآن الكريم :

- الأسلوبية الصوتية وأثرها في دلالة النصّ وفكّ شفراته : مثل تطبيقيٍّ من الشعر والقرآن، عثمان حسين أبو زنيد، مجلة المخبر، الجزائر، العدد١١، ٢٠١٥م.
- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس ، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٥ ، ١٩٧٥هـ.
- أهل البيت في الكتاب والسّنة، ، محمد الريشهري ، قم: دار الحديث ، ط٢، ١٣٧٥ش
- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م
- البرهان في علوم القرآن ،بدر الدين الزركشي، دار الحديث، القاهرة ،(د–ط)، ٢٠٠٦م.
- البعد السندي والدلالي في زيارة الناحية المقدّسة، السيد زين العابدين الغريفي ،العتبة الحسينية المقدسة ، مؤسسة وارث الأنبياء ، مجلة الاصلاح الحسيني ، ٢٠٢١م .
- تطوير الأساليب النثرية في الأدب العربي، أنيس المقدسي ، جامعة بيروت الأمريكية، لبنان ،(د–ط)،(د–ت).
- التّكرار مظاهره وأسراره، عبد الرحمن محمد الشهراني ، جامعة أم القرى ، السعودية ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، ١٩٨٣م
- جواهر البلاغة ، السيد أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م.
- جواهر البلاغة ، أحمد الهاشمي ،المكتبة العصرية، بيروت ،ط١ ، ١٩٩٩م.
- حياة الإمام الحسين، باقر شريف القرشي ، مطبعة الآداب ،النجف الأشرف،ط١، (١٣٩٨ هـ– ١٩٧٤م)..
- خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين ابن حجة الحموي، دار ومكتبة الهلال–ودار البحار، بيروت، الطبعة الأخيرة، ٢٠٠٤م.
- الخصائص الأسلوبيّة في شعر محمد عواض الثبيتي، فوزية بنت محمد بن ابراهيم البطي ، مذكره لنيل شهادة الماجستير، السعودية :جامعة القصيم ، ٢٠١٧م .
- الدعاء في زيارة عاشوراء قراءة في ضوء الأسلوبيّة الصوتية ،أحمد موفق مهدي، العتبة الحسينية المقدسة : مؤسسة وارث الأنبياء ،مجلة الإصلاح الحسيني ،القسم الأول، العدد الثالث والثلاثون،٢٠٢١م.
- دلالة الوفاء والولاء لسيد الشهداء في زيارة الناحية المقدّسة ، سحر ناجي المشهدي ، مركز كربلاء للدراسات والبحوث : مجلة الأربعين ،المجلد الثاني، العدد الأول ، ٢٠٢٤م .
- الربط النحوي وأثره في توجيه المعنى ، د. وحيد صفية ، وحاج حسين ،هلال رياض ، مجلة جامعة الفرات ، ٢٠٢١م ،العدد ٥٠، ٢٠٢١م .
- السّجع في العصر الجاهلي ، مالك محمد جمال بني عطا ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مؤتة – الأردن،٢٠١١م .
- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان ابن جني ، دار القلم ، دمشق ،ط١ ، ١٩٨٥م.
- شرح المفصل، ابن يعيش النحوي ، المطبعة المنيرية،(د– ط)، ١٩٠٠م.

- الشيطان في نهج البلاغة دراسة أسلوبية صوتية ، ميسر محمد سعيد مقتاد، مجلة مركز دراسات الكوفة ، جامعة الكوفة، العدد٦٠، ٢٠١٢م .
- الصوت اللغوي في القرآن ، محمد حسين الصغير ، دار المؤرخ العربي، لبنان ، ط١ ،٢٠٠٠م .
- صور القيادة عند الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة ، أ. د. كريمة نوماس ،ياسر عدنان مهدي، العتبة العباسية المقدسة ، مجلة العميد مجلة فصلية محكمة ،العدد٤٠، ٢٠٢١م.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ،يحيى بن حزة مؤيد الحسيني العلوي ، بيروت: المكتبة العصرية، ط١ ، ٢٠٠٢م.
- علم الأصوات ، كمال بشر ، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط١ ، ٢٠٠٠م.
- علم الأصوات عند سيبويه للمستشرق الألماني أرتور شاده ، د. صبيح التميمي بغداد : مجلة آداب الرافدين، بغداد ، العد ٥٨ ، ٢٠١٠م.
- كتاب التحليل الصوتي والدلالي للغة الخطاب في شعر المدح ابن سحنون الراشدي انموذجاً، نجية عبابو، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ،الجزائر : كلية الآداب واللغات–جامعة حسيبة بن بو علي ،٢٠٠٨–٢٠٠٩م.
- الكتاب، أبو عمر الجاحظ سيبويه ،تح: عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ،القاهرة ، ط٢ ، ١٤٠٢م.
- لسان العرب ،جمال الدين محمد ابن منظور، دار المعارف ،القاهرة ،(د– ط) ، مادة كرر ، ١٩٩٣م.
- اللغة العربية معناها ومبناها، دكتور تمام حسان ، دار الثقافة ، المغرب ،(د–ط) ، ١٩٩٤م .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين ابن الأثير، دار نهضة مصر، القاهرة ،(د–ط) .
- مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة ،ط٣، ١٩٩٧م
- المزار الكبير، محمد بن جعفر المشهدي ، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران ، ط١ ، ١٤١٩هـ .
- مستويات التحليل الأسلوبي (أسسه وإجراءاته)،د. الطيب جبايلي، مجلة أبوليوس، الجزائر ، المجلد ٧ ، العدد الأول ،٢٠٢٠م .
- مستويات التشكيل الأسلوبي في ديوان "شموخ في زمن الانكسار" للشاعر عبد الرحمن صالح العشماوي، المستوى الصوتي نموذجاً ،ياسر عكاشة حامد ، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ،القاهرة، ٢٠١٦م .
- معترك الاقران في إعجاز القرآن ،جلال الدين السيوطي ، دار الكتب، لبنان ،ط١، ١٩٨٨م.
- معجم التعريفات، السيد الشريف الجرجاني ، تح :محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة ، القاهرة ،(د–ط) ، ٢٠٠٤م .
- معجم العين ،الخليل بن أحمد الفراهيدي ، دار ومكتبة الهلال ، لبنان،ط٢، ١٤١٠هـ.
- المناجيات وأدعية الايام عند الإمام زين العابدين دراسة أسلوبيّة ، إدريس طارق حسين ، العتبة العباسية المقدسة : مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات ، ٢٠٢٢ م